

وقفات كريمات وشمائل سَنِيَّات من حياة شيخنا
المعمر المبارك العلامة الفقيه المرّي

الدكتور محمد فوزي فيض الله



بقلم .

تلميذه محمد ياسر القضماني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المحمود المجد في كل حال، وصلى الله وسلم على إمام أهل العلم والكمال، وعلى صحابته
المختصين بالنوال، وعلى الثقاوة المجتبيين الآل، وعلى من تبعهم وعتنا معهم وفيهم إلى يوم المآل.
وبعد: سادتي من أهل العلم الكرام، مشايخنا الأفاضل، الإخوة أهل الصفاء، أحبابي الأوفياء.
أقف بينكم العشية لأبشكم شجوناً وشؤوناً من حياة مترجمنا شيخنا المعمر المبارك العلامة الفقيه الأصولي
المربي التقى الورع الدكتور محمد فوزي فيض الله _رحمات الله عليه_

- الولادة والنشأة العملية:

ولد أستاذنا العلامة محمد فوزي فيض الله _رحمه الله_ في مدينة حلب في حيّ البيّاضة، وعن سنة الولادة
يرجح نجله الموفق المبارك الدكتور أحمد البراء أنها في عام ١٩١٩م؛ وبهذا يكون شيخنا قد عاش قرناً كاملاً
بالحساب القمري أو تيفّ عليه.^٢

- انعطافٌ إلى النشأة والأصل:

والد شيخنا اسمه عبد القادر بن محمد بن علي كان صالحاً وقد حثّ ولده على العلم وكانت بينهما
مراسلات أثناء الطلب في مصر بين عامي (١٩٤٥-١٩٥٠م)
وأما الوالدة فهي نفيسة بنت مصطفى المنجد، وجدته لأمة أسماء الإدلي أخت الشيخ محمد سعيد الإدلي.

^١ وكان الشيخ رحمه الله يحبُّ تركيب الأسماء فسَمَّى:

الذكور: أحمد البراء، أحمد تميم، محمد أسامة، عبد القادر، محمد مؤمن، (طبيب أسنان من زوجته الأولى بنت خاله سلوى المنجد التي
فارقها الشيخ بإلحاح من أهلها لمرضها ولا تزال حفظها الله وعافاها تعيش في كنف ولدها الطبيب)

الإناث: نفيسة غزّاء (تعيش في الكويت مع زوجها د.أحمد عبد اللطيف قره بلى تخصص رياضيات)، شيماء هند (تعيش مع زوجها
صلاح مزيد في بلجيكا)، عفراء نجد (رحمها الله توفيت بجادث سير في الكويت)

والمذكورون كلهم أشقاء عدا د.محمد مؤمن أخ لأب، وقد أنجب الشيخ سبعة ذكور وثلاث إناث، وتوفي ذكران وأنثى قبل البلوغ.

^٢ وهنا كرامة ظاهرة للشيخ رحمه الله _فقد أخبرني ولده الأستاذ أحمد البراء أن الشيخ كان في الفترة الأخيرة يقول له: أنا عمري مئة إلا
(لُقط)؛ باللهجة الحلبية. قال: ما كنت أفهم هذا فبان لي الآن أنّ عمره ثمان وتسعون سنة، لأن (اللُقط) عندنا الملقط، والملقط له
طرفان، أي سنتان. فما تقولون في قرنٍ حُشبي بالعلم والعمل!؟

- بداية الطلب والرَّحَب:

وأما البداية فقد قال لي شيخنا -رحمه الله- (الخسروية) هي الخميرة الأولى لي.
وقد تخرج في هذه الدراسة جمٌّ غفير من الأفاضل والعلماء.

ومن أكابر من درس الشيخ في هذه المدرسة الشيخ مصطفى الزرقا، الشيخ محمد راتب الطباخ، الشيخ أحمد الكردي الجدّ، الشيخ محمد السلقيني والد الشيخ إبراهيم الحفيد، الشيخ المعتقد عيسى البيانوني، الشيخ أحمد الشماع، الشيخ محمد سعيد الإدلبي وغيرهم.

- وممن حضر عليهم في المساجد:

أهمهم الشيخ نجيب سراج الدين والد الشيخ عبد الله سراج الدين، والشيخ محمد سعيد الإدلبي، والشيخ محمد جميل عقاد، والشيخ إبراهيم السلقيني الجدّ، والشيخ بكري رجب، والشيخ محمد الرشيد، والشيخ المعمر أحمد القلاش^١، والشيخ محمد إبراهيم الببايدي، والشيخ عيسى البيانوني وله معه قصة ثمينة سأذكرها إن شاء الله.

فالحضور على هؤلاء الكبار مع ما تميزت به (البيّاضة) من نجوم وأكابر العلماء نفخت فيه روح الإقبال وتعشق العلوم و المعارف إلى آخر العمر المديد المبارك.

- الشيخ رحمه الله وأرض الكنانة:

حدثني الشيخ -رحمه الله- حديثاً مطولاً عن شيوخه في مصر وكان يتأنق في ذلك وفاء لقدرهم وعظيم حرمتهم وهو الذي يخصُّ أكابرهم بالدعاء كل ليلة.

وأنا ذاكرٌ لكم من ذكّر لي سرداً لأسمائهم دون تفصيل جهات النفع والمادة المنتفع بها لأن الوقت يضيق عن ذلك وتمامه في الكتاب المكتوب عنه.

ما تقول فيمن حَضَرَ بَهْمَةً وعناية تامة وعشق غريب على الأعلام الآتية!؟

^١ وقد تردّدت على شيخنا الشيخ أحمد القلاش -رحمه الله تعالى- أكثر من سنتين خلال إقامتي في المدينة المنورة من عام ١٤٠٠ هـ إلى ١٤٠٤ هـ مدة دراستي الجامعية.

الشيخ محمد أبو زهرة، الشيخ محمود شلتوت، الشيخ أحمد فهمي أبوسنة، السيد محمد الخضر حسين، الشيخ حسن مأمون، الشيخ علي الخفيف، الشيخ عبد الوهاب خلاف، الشيخ عبد العزيز المراغي، الشيخ محمد عبد الوهاب عبد اللطيف، الشيخ محمد علي السائس، وغيرهم. ومن مشاهير أهل الأدب والعربية، الأستاذ علي عبد الواحد وافي، الأستاذ أحمد أمين، الأستاذ شوقي أبو ضيف، الأستاذ محمد سلام مدكور، الأستاذ مصطفى السقا وغيرهم.

وقد نقلت في كتابي عن الشيخ رحمه الله ترجمة كتبها عن أحد شيوخه الذين يعتني بالحديث عنهم وهو الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة الذي كان يحمل معه في أسفاره كفنه الذي أوصى أن يكفن به وأن يدفن حيث ترجع روحه إلى بارئها في أي بلد، ولا تنقل جثته إلى مصر فوفاه الأجل في (جنيف في سويسرة يوم ١٠/١١/١٩٩١م، ودفن في مدافن الجامع الإسلامي فيها، وكانت الدكتوراه عن الإمام الغزالي ونقده للفلسفة اليونانية عام ١٩٤٥م وهو يتقن اللغات الأجنبية الأربعة العالمية.

وأخبرني أستاذنا رحمه الله أن ممن تأثر بهم وانتفع بهم ولم يحضر عليهم: الشيخ أحمد بن ابراهيم بك الذي كان يعتز به الشيخ أبو زهرة ويفتخر، وكان يقال: لو احترقت كتب الحنفية جميعها لاستطاع أن يُملي خلاصتها. وقد رآه شيخنا الشيخ فوزي رحمه الله بعمامته مرةً عند دار الكتب المصرية.

- الشهادات العلمية:

- اختصر الحديث في هذا لأذكر أهم ما حازه الشيخ رحمه الله عليه.
- ١- فقد أخذ العالمية في الشريعة من الأزهر عام ١٩٤٧م.
 - ٢- وإجازة العالمية في القضاء الشرعي عام ١٩٤٩م في القاهرة.
 - ٣- وكانت شهادة التخصص (الماجستير في الفقه والأصول) عام ١٩٦٠م عنونها: طلاق الثلاث بلفظ واحد. ومن عجَبٍ أنه كان لا يفتي بالطلاق ويحيل على غيره، ومع وجود تأليف أيضاً فيه.
 - ٤- العالمية بدرجة أستاذ (دكتوراه) في الفقه والأصول عام ١٩٦٣م من كلية الشريعة جامعة الأزهر على رسالته (المسؤولية التقصيرية بين الفقه والقانون)

- الوظائف التعليمية:

درّس شيخنا رحمه الله الأدب العربي في دير الزور، وفي الخسروية بحلب وفي كليتي الشريعة والحقوق بدمشق وجامعة الإمام بالرياض، وجامعة الأوزاعي ببيروت، وفي كليتي الشريعة والحقوق في جامعة الكويت عشرين سنة من ١٩٨٠م إلى كانون الأول ٢٠٠٠م.

وكان رحمه الله ركناً ركيناً في اللجان الشرعية وهيئات الرقابة للمؤسسات والشركات المالية الإسلامية، وكان على صلة وثيقة بها وإلى أن غادر الكويت في شهر ١٢/٢٠٠٧م

- أكثر المدرسين في حياة المترجم - رحمه الله - :

سألت شيخنا مرة -رحمة الله عليه - من هم أكثر المدرسين تأثيراً في حياتك العلمية؟ فقال: في سورية: الشيخ الزرقا (أي مصطفى) كنت أتخذه نموذجاً لحياة العالم. وفي مصر: الأستاذ محمد أبو زهرة؛ وأثر في حياتي تأثيراً كبيراً، وعلمي الصراحة والحرص على الحق والإخلاص في العمل، وعدم المجاملة في الدين على حساب الحق؛ بأصول مع الأدب. وشيخ الأزهر محمود شلتوت أثر في تأثيراً كبيراً.

- أشهر تلامذته والمترددين عليه:

يعلق في ذاكرة المعلمين والمدرسين صنفان من الطلاب: من يشتهر بالاجتهاد والفطنة، ومن يشتهر بالكسل والمشغبة، ومن بينهما يتساقط من الذاكرة غالباً. وأنا ذاكر لك أشهر من علق بذاكرة الشيخ من الصنف الأول ممن حضر عليه في جامعة دمشق التي أمضى فيها زهرة الأيام وحلّ التدريس وليعذر من لم ير اسمه فيهم ممن جدّ في عهده؛ فمن أذكرهم هم الذين جروا على لسانه دون تحضير: وهم الشيوخ الأفاضل الأمثال: أحمد الحجّي الكردي، أحمد حسن فرحات، رمزي نعاة، زهير الناصر، عبد الرزاق الدملخي، عبد الستار أبو غدة، عبد القادر أبو فارس، عبد المجيد معّاز، عدنان زرزور، فارس الملي، محمد أبو الفتح البيانوني، محمد رواس قلعجي، محمد مصطفى الزحيلي، محمد عجاج الخطيب، محمد علي دولة، محمد عوض، محمد عوامة، محمد محمود الطحان، محمود أحمد المير، محمد نعيم ياسين، محمد ياسين درادكة، محمود عكام.

- من شمائله الكريمة:

إذا لم يكن للعالم أو الفقيه شمائل طيبة، وخلال حميدة فما قيمة علمه أو فقهه؟!
وكم بأسرك من عالم أدبٍ جَمَّ فيُنْسِيك علمه فتسترسل في ذكر هذا الأدب. ومن هنا قدّموا الأدب على
العلم، فماذا اشتهر شيخنا عليه الرحمات؟

١ - التواضع النادر:

ما يذكر أحدٌ شيخنا إلا ويذكر تواضعه النادر، ومن مظاهر ذلك وأجمله: التواضع للعلم والعلماء كقوله: الله
يقبلنا طلاب علم، إن ذُكِرَ السلف قال مرات: لا أدري يقبلونا طلاب علم؟! وسمعتة مرات يقول عن نفسه:
طويلب علم، وهو الذي تخرّج به أكابر المدرسين والعمداء في الجامعات!

وانظر مقدمات وخواصم كتبه فجّلها صُدِّرَ اسمه فيها بخادم العلم الشريف وطلابه الشرفاء العبد الفقير.

وشيخنا _ عليه أطيب الرحمات _ يجسُّ نفسه في الجامع على طالب واحد دون تضجُّر، ويُقبِلُ عليه، وفي
فصول الجامعة كان يسمح لمن يشاء بالخروج دون غضاضة وهو أستاذ الجميع.

ومن مظاهر التواضع النادر أنه يغافل من يزوره من الطلاب أو غيرهم فيصنّف لهم أحذيتهم حتى إذا ما
خرجوا وجدوها مُعدّةً على أحسن وجه، وصارحني بعض أولاده أنه صار يكفيه ذلك تكريمًا لوالده وهذه الخلق
كان يأسرنا مرات فنزداد له حبًّا، وبه تعلقًا.

يقول سيدي العلامة الصالح نور الدين عتر _ حفظه الله _ في شأن تواضعه: كأن الطالب أمامه زميلٌ له، لما
يرى من الكرامة وحسن محادثته وتلففه معه.

وسمعت في شأن التواضع من أخي الأستاذ الشيخ عبد الستار القطان أن شيخنا الشيخ فوزي رحمه الله كان
إذا دخل على الشيخ بدر المتولي عبد الباسط ينكبُّ على يديه يقبلها ويقول: جاء الشُّيخ من (الشويخ)
لِيُقَبِّلَ يد الشيخ!

أقول: ذكرتُ هذا الخلق أولاً لأن أهل الله نصُّوا أن طريق التواضع من الطرق الموصلة إلى الله وقد قلَّ
سالكوه!

٢ - الدقة في المواعيد والعناية بها:

اشتهر شيخنا _رحمه الله_ بالتزامه بأوقات المحاضرات والدروس، وما يتخلّف إلا نادراً، وبتهيأ دائماً لكل موعد مع أخذ الأهبة، وكنت إذا أردت التغيب لعذر طارئ أعذر له عن ذلك لعلمي باعتنائه بالموعد ولو لشخص واحد.

ومرات ندخل فنجده جالساً متهيئاً على أكمل حال منتظراً طلابه.

٣ - ذكر الأموات بأحسن ما فيهم والترحم عليهم:

وهذا يندر في الناس حتى إننا لنجده يترحم على من اشتهر بظلم أو فسق وهو حق؛ إذ لم نُؤمر بذكر السوءات وكشف العورات!

ثم الشتم والقدح يُحسنه كلُّ أحد، ولكن لجُم اللسان إلا عن خير لا يحسنه كلُّ أحد! وهذا عندي من أعظم شمائل الشيخ؛ فكم ضَعُفنا أمام هذا الخُلُق العالي، وأهدينا الأموات من حسناتنا، وألقينا على عواتقنا من أوزارهم!

٤ - الدعاء بظهر الغيب لمشايقه وزملائه وطلابه ولكل من أوصاه:

وهذا من أشهر شمائله وهو متواتر حتى إنه ليذكر كلُّ من عايشه ولو مدة يسيرة عجائب في هذا! فلا أكاد أذكر أحداً أمامه وبخاصة من أهل الفضل أو العلم إلا ويقول: ذكّرته في الليل مع فلان وفلان، فتنطمع فنقول له: أذكرني معهم فيقول: ذكرتك مع فلان وفلان! وقال مرة للدكتور محمد رواس قلعجي _رحمه الله_: أدعو في كل سحر للقلعجيان والزحليان والعترو... وقد تجرأت مرّة فقلت له في هذا فقال لي: أنا أذكر أسماءهم معاً: أحمد وأحمد وأحمد وسعيد وسعيد وسعيد وهكذا، فقلت: كم تأخذ من الوقت؟ قال: حوالي

ثلث الساعة! فكم يأخذ الدعاء لإخواننا وشيوخنا قبل ذلك، ومن أحسن إلينا في خلواتنا؟! ومن لطيف ما يُذكر هنا أنّ أحد إخواننا قال: كنت أذكر في قائمتين مرة باسمي ومرة بكنتي؛ لأنه ذكر عنده مرّة باسمه، ومرّة بكنتيه!

٥ - الانتصار للحق وعدم التشهير باسم المخالف:

وهذا العمري من أعظم الخلال وأشرفها، ولو لم تكن له إلا هذه الخلة لكفّته، فكم نجد التشقي بذكر أسماء المخالفين في فروع الفقه بخاصة ويطربُ كثيرون طرباً ما بعده طرب، وينتشون إلى حدّ السكر حين يذكرون

انتصارهم على المخالف، أو ضعف قوله، وفساد رأيه لتصير معركة الدفاع عن أشخاصهم لا الانتصار للحق والدين!!!

وشيخنا رحمه الله تجدد في كتبه كثيراً ذكر الرأي المرجوح أو الفاسد دون تشهير باسمه، أو يقول: قال بعض العلماء البارزين في أيامنا.

ويتعصب لما هُدي أنه الحق ولو خالف مذهبه، وفي لجنة الفتوى خالف الجميع مراراً غيراً على العلم فيما رأى، ولو انفرد وحده، وقد حدثني عن بعض هذه المواقف!!

نسأل الله أن يعيننا على الانتصار للحق وأهله وأن لا نخشى في ذلك لو اللائمين!

٦ - العناية بقيام الليل وختم القرآن:

للشيخ عليه شآبيب الرحمات - حال في الليل عجيب فمذ عرفناه لا يُزار ليلاً، ولا يزور أحداً ليلاً إلا نادراً ليكر للقيام فهذا شرف المؤمن وهو شعار الصالحين في كل حين. وسمعت منه أنه يقرأ القرآن مرتين كل شهر، مرة في الصلاة، ومرة خارج الصلاة.

٧ - العناية بالمظهر والتأنق به:

وأنا أعزو هذا لإجلال العلم وتشريف ما انطوى عليه الباطن ليجمع الحُسنان؛ ولذا لا ترى الشيخ إلا في أنظف الثياب وكان غطاءً رأسه يضاهي نصاعة الثلج، وما رأيت وضع حذاءه مرة في غير موضعه وكأنه جديد لم يُلبس فكان ذلك يُنم عن ذوقه الرفيع. يقول في هذا سيدي الشيخ نور الدين عتر: وكأنه يتمثل الهدى النبوي الشريف الصحيح: (إن الله جميل يحب الجمال)

٨ - برّه بالوالدين وتعظيمهما:

كان شيخنا رحمه الله حفيماً بالديه، وكان يسوق لنا من أخبارهما وفي رمضان يذكّر لنا عن تنافس والديه بكثرة قراءة القرآن.

وكان الشيخ قد أهدى رسالته العالمية (الدكتوراه) في الأزهر إلى والديه.

وكان يفرغ يوم الخميس في الشام فلا يدرّس فيه ليغدو إلى حلب لينال مزيداً من البرّ.

وكان في أيام الطلب في مصر إذا غدا إلى (حلب) يلبسُ العمامة البيضاء أسوة بلباس علماء المكان لأن هذا كان يُسعد والده الذي يطلب منه ذلك.

وأخبرني ولدُ شيخنا الأخ أحمد تميم _ حفظه الله _ أنه سأل والده عن سبب كثرة التنفل فقال: يا ولدي أصلي أيضاً وأهَبَ لوالدي!

وقد رأيتُ أنَّ أسَّ التوفيق في حياة الموفقين من أهل العلم وغيرهم سببه برهم الظاهر بالوالدين.

ومن هنا أيضاً من أشهر أسباب الخذلان والقطيعة العقوق بالوالدين.

وسمعت أحد الإخوة قال: أخذ الشيخ يتكلم مرة عن والدته فأخذ يبكي بكاءً شديداً، ويدعو لها.

وسأسوق خبراً عجيباً في هذا في الكلام عن أخريات أيامه _ رحمه الله _

٩ - تعظيم العلم الشريف وبذله:

كان شيخنا _رحمة الله عليه_ يتكلم كثيراً عن شيوخه في مصر بخاصة، وطلب العلم هناك على جبال في العلم والعمل في منتصف القرن الميلادي الماضي.

ولما التقاه الشيخ نور الدين عتر _ حفظه الله _ في الدراسات العليا في الأزهر في يوم من سنة ١٩٦٠م قال:

(سبقت شهرته اللقاء به؛ لاشتهاره بأنه رجل لا يشبع من الدراسة)

كان المترجم _عليه الرحمة_ غواصاً على الدقائق وتوفّر على حفظ المهمات!

ومن ثناء الدكتور محمود أحمد الطحان في أستاذنا ونقل من كلامه قوله: يا شيخ محمود بعض الناس متعتهم

المال، وبعضهم متعتهم الجاه، وبعضهم متعتهم النساء، وأنا متعتي في تحصيل العلم.

وكان الشيخ لتعشقه عبارات العلماء يكاد يسوقها بالحرف، وممن ذكر ذلك الدكتور محمد رواس قلعجي

_ رحمه الله _ قال: أصبحنا لا يخامرنا شك في أنه يحفظ (الهداية) بألفاظها، وحتى أصبحنا نُفضّل محاضرة هذا

المعيد - عندما جاء معيداً إلى كلية الشريعة بدمشق - على محاضرة الدكاترة الكبار.

ولاشتهار الشيخ _ رحمه الله _ بالفقه والأصول دَرَساً وتدريساً شجوناً وشجون وبخاصة الأصول وما كتبه في

ذلك _ على قلبه _ يعبر عن هضمه لهذا العلم، وغوصه على دقائقه وأسراره.

ولطالما اعتزَّ بأن هذا العلم هو من أنفس ما تميز به العلماء، وبرع به الفقهاء، مما ابتكرته العقول، وتفتتت

عنه الأذهان.

ولذا كنت تراه إذا شرح قطعة أصولية يتأنق في قراءتها وتدريسها كالمستطيب لطعام يتلذذ به.

وكان يصرّح لنا _رحمه الله_ بالتحضير لدروس الأصول، وأشكلت عبارة مرّة، فقال -بكل تواضع-: ما فرغتُ لتحضير الدرس؛ فأقول في نفسي: جاوز الشيخ السبعين _في حينها_ وثلاثة أرباع عمره في التدريس، ويحضرُ قبل أن يدرّس؛ أفلا ينبغي أن يعتني الواحد منّا لجلال هذه الأمانة، وثقل هذه التبعة، وبخاصة لتدريس هذه المادة؟!!

ومن قوله _رحمه الله_ الجمعة للجامع!

هذه الكلمة سمعتها مرات من شيخنا فكان يجلس نفسه في الجامع فيذهب طلبّةً ويأتي آخرون، يدرّس فيه جملة من الكتب في عدة علوم.

وكانت حلقاته يوم الجمعة بعد العصر أكثرها تميزاً، وكانت في الحلية للأصفهاني وحضرت فيها سنوات، ويقف عند دقائق كلام القوم ومرات يبكي ويتأثر الإخوان ويقول مرات: يقول بعضهم نحن صوفية! أين نحن من الصوفية؟! الصوفية زهاد في الدنيا، فهل عندنا زهد؟!!

١٠ - ورعه _رحمة الله عليه_:

كلُّ من تكلم عن الشيخ ممن كانت له أدنى عُلاقة به عنده قصصٌ من ورعه وأخباره العجيبة.

دخلت عليه مرة في مكتبه في كلية الشريعة في الكويت فاحتجت في ثنايا اللقاء لورقة صغيرة لأكتب عليها رقم هاتف شخصٍ فأهويت على عُلبة فيها أوراقٌ صغار مقطّعة لأخذ واحدة فوضع يده على يدي قائلاً: لا، هذا ليس لي؛ هذا للكلية، هذا لي وتناول من موضعٍ آخر، وقال: هذا من عندي!

قلت في نفسي سبحان الله ما قيمة هذه الوريقة، ولكن هكذا شأن الكبار الحبيطة، وسدُّ الذرائع؟!!

وكنت أتكلم قبل أيام عن الشيخ _رحمه الله_ فجائني كبير وقال أنا حضرت على الشيخ _رحمه الله_ في كلية الشريعة وأذكر موقفاً لا أنساه، كنّا على باب الكلية والمطر يهمني بغزارة فتوقف رجل بسيارته وعرض على الشيخ أن يحمله ويتشرف بخدمته، فلما عرف الشيخ أن السائق موظف، وأنها سيارة العمل وليست خاصة اعتذر بلطف، وقال: لا يحق لي، امض في عملك!!

١١ - يقيئُهُ وثقته ربُّه:

كنت في أثناء أزمة الخليج الثانية في الكويت أدخل على شيخنا رحمه الله فأراه متجهاً إلى القبلة وهو بسَمْتِهِ وسكنته يكتب في مصطلح: (ضمان) للموسوعة الفقهية وهو ممتلئ ثقة بأن الأزمة منقضية، وأنهى البحث الدقيق في (١٤٩) فقرة وطبع في الموسوعة في الجزء الثامن والعشرين في ست وتسعين صحيفة، وقال لي: لقد بورك لي وكتبته في هذه الفترة.

وأثناء الأزمة الأخيرة في بلادنا فرج الله عنّا وعن المسلمين كان مع كلِّ الأهوال التَّقال والخروج من المكان، ووفاة الحفيد محمد فوزي ابن ولده أحمد البراء، وهو يقول: أفضل العبادة انتظار الفرج، كل شيء له حكمة، لا تيأسوا لا تقنطوا، ترجع الأمور أفضل إن شاء الله تعالى.

وكان يَدْكُرُ كلام الشيخ النبهان رحمه الله في (حلب) الذي يقول: إذا حَصَلَتْ أي مصيبة تذكروا أن الله عالم بما، وهو حكيم فيما يُجري ويُدبِّر. وهذا فيه التعزية الكاملة لكل مؤمن موحد.

- من نصائحه ومواعظه الغالية:

- ليس هناك أعظم من برِّ الوالدين في الدنيا، وما أنصف أحد الوالدين مثل ما أنصفهما رب العالمين فقال: (وبالوالدين إحساناً) (الإسراء: ٢٣) مقتزنة بالعبادة. وما في الدنيا أصدق معك من الوالدين لا الزوجة ولا الرفيق ولا الصديق فحبهما خالد أبداً.
- المهم ليس فعل الطاعة، بل المحافظة عليها.
- صدق شيخنا، ومن أهم أسباب المحافظة عليها شكرها، وأن تجعل لها أخوات.
- التوحيد والإيمان أساس الخيرات كلها، وانظر إلى شقاء الغرب.
- إيماننا إيمان شكلي لا يقيني عملي، نؤمن بالموت ولكن أين العمل!؟
- بإيمانهم الصحيح فتحوا الدنيا، ونحن سلّمنا كل شيء بتعلقنا بالدنيا وضعف إيماننا!
- رأينا من فتن بعد السبعين! وربما قال: فوق الثمانين!
- سمعت هذا منه مرراً فنسأل الله الثبات حتى الممات، وقد حُفِظَ شيخنا بفضل الله فلم يتدنس بسياسات معكّرات في ساحة من السّاحات حتى لقي ربّه وهذا من توفيق الله لعبده المرضي!

- وأردف مرة: وهذا قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: (وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضنا إليك غير مفتونين). والأنبياء يقولون: (ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين) (الأعراف: ١٢٦)
- مطلبهم الكبير الموت على الإسلام، والسلف يقولون خوف الخاتمة قَطَعَ ظهور الواصلين (ليس لك من الأمر شيء) (آل عمران ١٢٨) فما نقول نحن؟! -
- أول شروط الاجتهاد التقوى ثم العلم، الآن علم بلا تقوى.
- وقد سئل الإمام أحمد - رحمه الله - من نسأل بعدك؟ فقال: عبد الله بن صالح، فقالوا: ليس بذاك! فقال: إنه يخشى الله، وجدير إذا طلب الحق أن يجده.

- مأثورات وحكم يحكيها ويُعجبُ بها:

- دع الفضول فإن حسابه يطول.
- وقد قدّم الله تعالى الإعراض عن اللغو على فعل الزكاة لاشتغال الناس به فقال: والذين هم عن اللغو معرضون. والذين هم للزكاة فاعلون.
- وسمعتة مرراً يقول قول الإمام أحمد الشهيرة: مع المحبرة إلى المقبرة.
- وتعجبه كلمة للأديب أحمد أمين - رحمه الله -: الموت قافية كلّ حيّ.
- وتعجبه كلمة خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - وهي قوله: ما يسرني أن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لم يختلفوا، لأنهم لو لم يختلفوا لم تكن رخصة.
- تعجبه كلمة للشيخ المعتقد عيسى البيانوني - رحمه الله - لا تنظروا إلى من قال، انظروا إلى ما قال.
- وقد رأيت شيخنا الشيخ أحمد القلاش - رحمه الله - يكرها أيضاً، لأنه انتفع بالشيخ عيسى أيضاً عدة سنين، وكان يُكثِرُ ذكره.
- يعجبه قول للإمام الغزالي - رحمه الله -: (لو لم تلعن إبليس طول عمرك لم يسألك الله لم لم تلعه). أقول: صدق والله! وما يجدي أن ألعنه إن أنا حالفته واتخذته ولياً؟! -
- تعجبه كلمة لشيخ أزهري وهو محمد زلماني يقول: من علامات الفتوح على طالب العلم: احترام العلم والمعلم والكتاب.
- مجّدُ التاجر كيسه، ومجد العالم كراريسه.

- الشيوعية أفقرت الغني وأماتت الفقير (ونقل عن الشيخ محمد أبي اليسر عابدين مفتي بلادنا السابق)
- يعجبه قول ابن حجر في التحفة في الشاء على الإمام النووي رحمة الله عليه: هو وليّ الله بلا نزاع ومحرم مذهب الشافعي بالإجماع.
- تعجبه كلمة لغوستاف لوبون مؤلف كتاب (حضارة العرب): إن فضل محمد على العرب ليس له حدود.

- من رقائق الشعر الذي يتمثل بها ويرويهها:

إن ما يكرره الإنسان من أشعار من مضى من أهل الحكمة والمعرفة يَكشِفُ عن نَفْسِ المتمثل لهذه الأبيات ويبين في أجلى صورة حال قلبه وعقله.

فمما سمعت منه - رحمه الله - وهو به معجب:

لقد كان في ظل الأراك كفايةً	لن كان فيها يعتريه رحيل
أتبني بناء الخالدين وإنما	بقاؤك فيها لو عقلت قليل
*	*
فخذ بعلمي ولا تركزن إلى عملي	ينفعك علمي ولا تضرك أوزاري
إن الرجال كأشجار لها ثمرٌ	فاجن الثمار واخلّ العود للنار
*	*
إن كنت لست معي فالذكر منك معي	يرك قلبي إذا ما غبت عن بصري
والعين تبصر من تهوى وتفقدته	وباطن القلب لا يخلو من النظر
*	*
سألت الناس عن خلٍّ وفيّ	فقالوا: ما إلى ذاك سبيل
تمسك إن ظفرت بذيل حرّ	فإن الحرّ في الدنيا قليل
*	*
هجرت حبيب القلب لا عن ملامة	ولكن جنى ذنباً يؤدي إلى الترك
أراد شريكاً في المحبة بيننا	وإيمان قلبي لا يميل إلى الشرك

ويقول أبي العلاء:

وأدمن الذكر أبكاري وآصالي
لكن تعبد إعظام وإجلال
إذا تعبد أقوامٌ لأجعال^١

أقيم خمسي وصوم الدهر آلفه
وأعبد الله لا أرجو مثوبته
أصون ديني عن جُعل أومله

- أهم آثاره العلمية:

- في الكتب المؤلفة:

لكل عالم أو كاتب أو مؤلف أو محقق أعمال يؤثرها على غيرها، وتكون لها في قلبه وقع خاص، ومكانة
أثيرة.

وتتأج أهل العلم بمنزلة أولادهم أو هو أقرب، يغار عليها ويدود عنها، ويأسى للعبث بها أو الإهمال.
ومن حق كل من نكتب عنه ترجمة أن نعرض في أهم ما نعرضه: كتبه وأن نعني أكثر بما كان يؤثره ويرتاح
إليه منها.

وشيخنا المترجم - رحمه الله - أَلَّفَ وأبدع وبخاصة في الفقه والأصول.

وأحبُّ إنتاجه في الفقه إليه رسالته العلمية للدكتوراه وعنوانها:

المسؤولية التقصيرية بين الشريعة والقانون

وأما أحب الأعمال كتابه الموسوم بـ: مباحث الكتاب والسنة من علم الأصول

وأما في الرُوحانيات على حسب تعبير شيخنا فهو كتابه: صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة

يقول فيه العلامة الشيخ نور الدين عتر ثناءً عاطراً: مثلاً من التآلق في إشراق البيان وفي تجديد الدراسة

وعمق التحليل للوقائع والغزوات، وانظر ما فيه من مناقشات المستشرقين المغرضين.

ثم انظر قبل هذا وبعد هذا الجوانب الروحية والقيم الإيمانية يثها الكاتب في روح قارئه كيف لا والكاتب

من خواص المحبين للنبي صلى الله عليه وسلم الحافظين لكتاب الله ، الكثيري الاطلاع على سُنَّة رسول الله

صلى الله عليه وسلم.

هذا كله مع العرض لمسائل فقهية من اختصاص المؤلف.

١ قال لي شيخنا رحمه الله كتبت بحثاً عن أبي العلاء المعري قريب من مئة صفحة وُعدتُ بنشره، وكان يقول لنا: أبو العلاء المعري من
أهل الإيمان

- ومن كتبه النافعة الفقهية:

الاجتهاد في الشريعة الإسلامية، في (١٨٩) صحيفة، أرخت الخاتمة دمشق ٢٠/١٠/١٩٧٦ الطبعة الأولى ١٩٨٤ - دار التراث الكويتي

فصول من الفقه الإسلامي العام، في (٨٠٠) صحيفة المقدمة الأولى دمشق ٦ من شباط ٦٦١ الطبعة الأولى ١٩٦٨ (وهو أضخم ما طبع له)

التعريف بالفقه الاسلامي، في (١٠٥) صحيفة المقدمة في الرياض ٢٠/٣/١٩٧٧ دار التراث الكويتي
نظرية الضمان الفقه الاسلامي، في (٢٢٨) صحيفة المقدمة في الكويت آب ١٩٨١ - التراث الاسلامي
الزواج وموجباته في الشريعة والقانون، في (٢٢٣) صحيفة المقدمة في الكويت ٥ آيار ١٩٩٤ - مكتبة المنار
الاسلامية - الكويت

الطلاق ومذاهبه في الشريعة والقانون، في (١٥١) صحيفة المقدمة في الكويت ٢١/٦/١٩٩٨ الطبعة الأولى مطبعة الفيصل - نشر وتوزيع مكتبة المنار - الكويت
المذاهب الفقهية - تعريف موجز بالمذاهب الفقهية الأربعة القائمة في عصرنا وبغيرها من المذاهب، في (٢٣٦) صحيفة أرخت الخاتمة في ١٧/١٢/١٩٨٣ الطبعة الأولى - مطبعة الفيصل الإسلامية - الكويت

- الكتابات الأصولية:

- الإمام بأصول الأحكام (مذكرات للطلاب في كليتي الشريعة والحقوق جامعة الكويت)
- مباحث الكتاب والسنة من علم أصول الفقه (مذكرات في الستينيات لطلاب كلية الشريعة في جامعة دمشق السنة الثانية)

- مذكرات جامعية قيمة:

في كتابي عن الشيخ الحديث عن مذكرات جامعية دُرست في الأصول والفقه والعربية والحديث في جامعات متعددة.^١

^١ كتابي عن الشيخ رحمه الله ضمن سلسلة: علماء ومفكرون معاصرون رقم (١٧) طبعة دار القلم الدمشقية سنة ٢٠٠٢م في (١٧٤) صفحة.

بحوث قيّمة لا يزال بعضها مخطوطاً:

- ١ - من أجلّ بحوثه: صلة علم الأصول باللغة.
- ٢ - الفقه الضائع
- ٣ - وكذلك جعلناكم أمة وسطاً. (نشر في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية [وكان عضواً في مجلس إدارتها] العدد الثاني من السنة الأولى ١٩٨٤)
- ٤ - الأنباري من خلال كتابه الإنصاف (نشر في مجلة اللغة العربية التي تصدرها كلية الحقوق في جامعة الإمام في الرياض)
- ٥ - الحياة العلمية والدينية كما تمثلها المدرسة الخسروية في حلب خلال النصف الأول من القرن العشرين وأخبرني شيخنا أنه حوالي خمسين صفحة.

٦ - بحث تمهيدي للماحستير بعنوان: الطبيعة في شعر الصنوبري. يقع البحث في ٩٠ صحيفة.

المصطلحات الفقهية:

كتب رحمة الله عليه أربعة مصطلحات للموسوعة الفقهية الكويتية هي أثن من أربعة كتب: وهي (إتلاف) و(بيع منهي عنه [وهو أوسعها]) و(صوم) و(ضمان).

المقالات:

- في مجلة الوعي الإسلامي (١٦) مقالاً.
- في مجلة المجتمع (١٨) مقالاً بغير اسمه الصريح لاعتبارات.
- في صحف كويتية متنوعة (٢٠) مقالاً.

مقدمات كتب:

- أهم ما رأيته لشيخنا رحمه الله على كتب معاصرة:
- ١ - أحكام السجن ومعاملة السجناء في الإسلام للدكتور حسن أبو غدة.
- ٢ - منهج التربية النبوية للطفل للمهندس محمد نور سويد.
- ٣ - رجال مبشرون بالجنة للأستاذ أحمد خليل جمعة.
- ٤ - بهجة النفوس في تجويد كلام القدوس للدكتور محمد مأمون كاتي.

- ٥- مناسك الحجيج والأخطاء والأوهام والبدع لمحمد ياسر القضماني والمقدمة في (١١) ص وهي لأول كتاب يطبع لي وكانت في ٢٩ من ربيع الآخر ١٤١٥ الموافق لـ ١٠/٥/٩٤ وقد وزع منه ٥ آلاف نسخة.
- ٦- وقفات مع سلفنا الصالح محمد ياسر القضماني، وكانت مقدمة الشيخ عجيبة في (١٣) صحيفة. في ٤ من جمادى الأولى ١٤١٩ الموافق لـ ٢٦/٨/١٩٩٨م.

- أهم الندوات والمحاضرات:

- الندوة الأولى بعنوان: الفقه الضائع
كانت مشاركة مع أستاذنا محمد حسن هيتو وكانت مساء الأربعاء ١٠/٢/٨٢ في كلية الحقوق والشرعية قبل أن تنفصل الشريعة عن الحقوق وطبعتها مجلة الحقوق في العدد الثاني من السنة السادسة يونيو ٨٢.
- الثانية بعنوان: مشروع قانون الأحوال الشخصية في الميزان.

- الخطابة عند الشيخ رحمه الله:

- ما قُيِّض للشيخ أن يكون خطيباً في الجُمع إلا سنة من أواخر ١٩٩٠ إلى أواخر ١٩٩١ في الكويت أثناء الفتنة بين العراق - لا أعاد الله أمثالها على المسلمين - حين خلا جامع (الشويخ) القريب من داره من خطيب، باستثناء خطب وُكِّله بها شيخه عبد الله حمادة في حلب خلال سنتين من ١٩٤٠-١٩٤١ عندما كان يغيب صيفاً إلى (تادف) بلده.
- وقد نشرت تسع خطب من خطب الكويت في مجلة النور الكويتية وتميزت خطب الشيخ رحمه الله بعدم الإطالة، الخطبتان بثلاث ساعة مع عدم التشهير بأسماء المسيئين، وعدم الخوض في السياسات، وذكر قصة أو شاهد على الفكرة، وهذا ما كان يوصينا به.

- منهج الشيخ في الفتوى ونماذج:

- يرى شيخنا رحمه الله عدم الخروج عن المذاهب الأربعة المشهورة، وأما الأخذ بغيرها من المذاهب المندثرة فينبغي أن تتوفر فيه شروط أهمها:
- ١- ثبوت القول في المذهب المندثر.

٢- التأكد من أن إمام المذهب المندثر قال بهذا الرأي ثم لم يرجع عنه في حياته حتى توفي فأبو حنيفة كان يقول: إني أقول القول اليوم، وأرجع عنه غداً. والشافعي له أقوال في مذهبه القديم، رجع عنها في الجديد؟ وهكذا.

٣- ألا يكون في المذاهب الأربعة ما يُعني عنه.

وكان الشيخ رحمه الله يدعو إلى الاجتهاد الجماعي الذي يكون عن طريق المجامع الفقهية وبخاصة في الأمور العامة، يقول: ولا شك في أن الرأي الجماعي أضمن للصواب، وأقرب إلى الحق من الاجتهاد الفردي، وأكثر تحقيقاً للعدالة.

- كلمة ثمينة:

سألت شيخنا مرة: لو أردتم أن تختصروا كلمات فيما امتازت به المذاهب الأربعة المتبوعة فما تقولون؟ فقال عفواً الخاطر:

المذهب الحنفي: يتميز بسهولة تطبيقه في الحكم والسياسة.

المذهب الشافعي: يتميز باحتياطه في العبادات.

المذهب المالكي: يتميز بسهولة وتيسيره في كثير من المحدثات.

المذهب الحنبلي: يتميز بكثرة الأقاويل في المسألة الواحدة؛ مما يعين على اختيار مذهب مناسب.

فالشيخ له البصر الواسع، والغوص الدقيق فيما يقرره أو يفتي به؛ وانظر ما قاله مثلاً في التصرف في أعضاء

الإنسان وحكم شرائها في مجلة الوعي الإسلامي الكويتية المنشور في العدد (٢٧٦) في ذي الحجة ١٤٠٧ هـ،

آب ١٩٨٧، قبل ثلاثين سنة فهو مثال على ذلك.

- رد الفتاوى الشاذة المعاصرة:

وفي كتاب شيخنا (الاجتهاد في الشريعة الإسلامية) ردّ في (٢٩) صحيفة فتاوى شاذة في أقسام: العبادات،

والمعاملات، والمناكحات وشؤون الأسرة، والمخاصمات، والعقوبات والعبادات.

تركيّة) وشجون انتقال الشيخ وما كان في سياقه عليه الرحمة والرضوان

قدّر الله الوصول إلى تركية إثر شدايد في حلب وما حولها وفي إثر تأثر حفيده محمد فوزي بشظية فدلّوهم على مدينة (إسبارته) لأن فيها مشفى يناسب لعلاج الولد، ثم قدّر الله عليه الموت فدفن فيها فبقيت الأسرة: الشيخ وزوجه فاطمة ططري دقاق وهي ابنة عم فاطمة ططري زوجة الشيخ عبد الله سراج الدين رحمهم الله. كان القدوم إلى هناك في شوال ٢٣ / ٨ / ٢٠١٢ م، ولم يترك الشيخ هذه المدينة إلا مرة واحدة إلى مدينة (قونية) لمؤتمر يتعلق بالعربية.

وكان بعناية الله بعيداً عن الأضواء والخلافيات والتصريحات، ولم يصرح تصريحاً سياسياً واحداً وكان لا ينتسب لحزب ويوصي أولاده وطلابه بذلك.

وتفرغ في الفترة الأخيرة لذكره وقرآنه، قال مرة لولده: لولا قراءتي للقرآن كنت متُّ وأنا على قيد الحياة! ومن اللطائف أنه أعطى ولده آلة حلاقة الوجه وقال له خذ هذه لا تلزمني من الشهر التاسع ٢٠١٥ وأطلق لحيته البيضاء التي ملأت صدره، لثلاث تفوته سنة من سنن حبيبه صلى الله عليه وسلم.

بدأ مرض الشيخ في ٧ / ٨ / ٢٠١٧ بسعال وارتفاع درجة الحرارة واضطراب في القلب، وكانوا استأصلوا له كُلية سنة ١٩٩٤، وكان الشيخ رحمه الله يؤكد لولده طول السنين الماضية بأن قلبه سليم حساً ومعنى، ويقول أنا قلبي (جفت)، وكان في حلب تردّد عليه بعض أفاضل الأطباء الذين كانوا يعاينون الشيخ عبد الله سراج الدين رحمه الله وفاءً معه، ورأوا أن نظافة قلبه كنظافة قلب الطفل!

لم يفتر الشيخ في المشفى عن الذكر والقرآن والأجهزة مركبة عليه، وقدّرت الوفاة وما خطر لهم ذلك إذ بُشّروا بدنوّ خروجه!

كان يكثر في الأيام الأخيرة – كما قال لي ولده السيد براء الذي كان يقول له والده: أنت امتداد لي بعد موتي ووصيّي – يكثر أن يقول:

يا غوثاه أغثني، يا غوثاه أغثني، خفف عني يا رب

وكان يقول في الأيام الأخيرة كثيراً: أنا لا أرضى من ربي إلا بالفردوس الأعلى فهل هناك شأؤ فوق ذلك، ورجاءٌ أفخم من هذا الرجاء!؟

ومن عَجَبٍ يقول السيد البراء قبل أيام - مؤرخة عندي - من دخول المشفى كنت أقرأ عليه في أعوص الكتب في (تنوير الأبصار للحصكفي) فأخطأت فردّني واهتزّ، كان أبي يحفظ هذا المتن في هذه السنّ!

و شاء الله أن يقع القدر المحتوم الذي كُتِبَ على كل نفس فكان ذلك في الساعة ٤.٣٨ قبيل فجر الاثنين ٥ من المحرم ١٤٣٩ هـ الموافق ل ٢٥ / ٩ / ٢٠١٧ في (إسبارته) المدينة التي عاش فيها آخر عمره وهي مشهورة بالورود وزراعته، وتسامع الناس واجتمع وجوه من الناس وطلاب العلم وبعد صلاة عصر الغد الثلاثاء قدّم ولده أحمد البراء فصلّى عليه، ونزلت قطرات سماوية لطيفة دقيقتين أو ثلاثة، ثم حملوه على الأكتاف خلاف العادة، وووري الثرى بجانب زوجته تماماً!

وقد فاحت من ترتبه رائحة الورد، وصرّح لي ولده بأنهم أخذوا حَفَنَةً إلى البيت والبيت عبق برائحة الورد، ودخل جَمَعٌ وشموا الرائحة في بيته رحمه الله.
وما علم الناس أن مدينة الورد، سيأوي في مقبرتها (عصري مزار لك) جبلٌ من العِلم، وسجلٌ ضخّم من المعارف، وشمائل مرضية سنّية امتدت قرناً كاملاً!

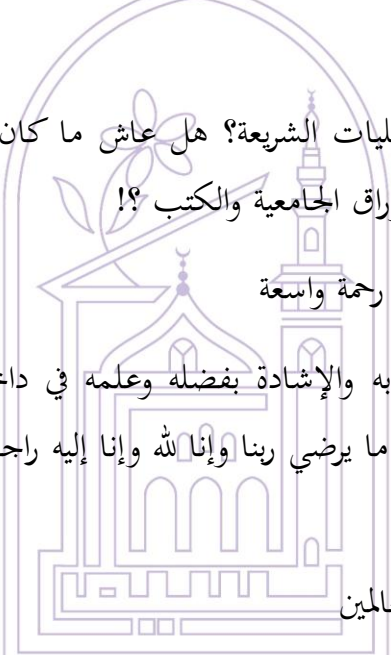


الخبر العجيب!

ما هذا الخبر؟!

قال لي الأخ موفق البراء متأثراً: خبرٌ ما قتلته لأحد: ما رأيك كان يقوم والدي رحمه الله إلى أمي وقد أقعدت من عام ٢٠٠٢ م فدخل عليها وينظف تحتها ويتعجل بتنظيف بعض ثيابها، ويؤكد على أمي أن لا توقظنا فنفاجأ فنكاد نصعق لهذا نقول له:

يا أبي ما يجب هذا عليك !! فيقول: لماذا تحرموني من الأجر، أريد أن أشارك في الأجر؟! وبقي على خدمة عجيبة وصبر غريب إلى وفاتها في ١٩ / ٩ / ٢٠١٥ - رحمه الله - وهو يكبرها بأكثر من ثلاثين سنة.

فما تقولون في أستاذ العمداء لكليات الشريعة؟ هل عاش ما كان يكتبه ويدعو إليه من العلم ومكارم الأخلاق، أم بقيت حروفاً حبيسة الأوراق الجامعية والكتب؟!


رحمك الله يا شيخ الأساتذة الكرام رحمة واسعة

هذا وقد اجتمعت مجامع للعزاء به والإشادة بفضله وعلمه في داخل البلاد وخارجها، وُضِّلِي عليه في جهات صلاة الغائب^١، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا لله وإنا إليه راجعون، رحمه الله رحمة الأبرار، وألحقنا به في خير ولطف وعافية.

أمين أمين أمين والحمد لله رب العالمين

فرغت من كتابتها بعد ظهر الخميس ١٥ من المحرم الحرام ١٤٣٩ الموافق ٢٠١٧/١٠/٥، ثم ألقيت هذه الكلمة بعد مغرب اليوم نفسه في جامع التوبة بالعقبية في جمّع من المحبين والأساتذة.

١ وصَلِّي كاتب هذه السطور على الشيخ - رحمه الله - صلاة الغائب إماماً بعد خطبة الجمعة التي تلت الوفاة وكانت الجمعة خلف الأستاذ الشيخ عبد الرحمن الحمامي حفظه الله في جامع الغوّاص في الميدان - دمشق

أخبار ومنتف يحسن إلحاقها بالكلمة

سيدي الحبيب عمر بن حفيظ مع المترجم الراحل:

زار سيدي الحبيب عمر بن حفيظ مرة الكويت فحدثوه عن الشيخ فقال: نزوره فزرنا الشيخ بمعيتة وخدمته، وفي آخر المجلس فاجأ سيدي الحبيب الشيخ قائلاً: نريد يا شيخ منكم الإجازة لنا. قال الشيخ - رحمه الله - متعجباً: منكم، كيف هذا؟! وأثنى على سيدي بعبارات كريمة. وأكد سيدي طلب الإجازة فوعده الشيخ بكتابتها. وأعطاني بعد أيام تلك الإجازة من الشيخ - رحمه الله - وذيلت الإجازة لسيدي الحبيب بإجازتي أيضاً بما أجاز سيدي وهذا شرف كبير لي أن أُلحق بالسادة الكرام.

تأثر شيخنا بالشيخ عيسى البيانوني - رحمه الله - :

رأى شيخنا الشيخ عيسى في الثلاثينيات وكان عمره في العاشرة، ومن القصص التي أخبرني بها قال دخلت على الشيخ عيسى أنا والشيخ عبد الفتاح أبو غدة - رحمه الله - بعد العصر من أيام رمضان فجاءه رجل اسمه الحاج نجيب الجبيلي - تاجر كبير من تجار حلب بالصابون - فقال له: شيخني نريد حجة (بدلية) عن والدي؟ وعرض عليه أربعين ديناراً، فقال له الشيخ: جئت في محلك! أنا اليوم رأيت النبي - صلى الله عليه وسلم - بنومي، وأنا أوافق على هذه الحجة، رأيته يقول لي: قم أدن المغرب، فقمتم، فقال لي: بقي دقيقتان فقط! ولما صلينا مع الشيخ المغرب وخرجنا رأيت الشيخ عبد الفتاح حزيناً فسألته فقال لي: أنا متشائم من هذه الرؤيا! يقول المغرب والمغرب غروب، أي قرب أجل الشيخ! فلكي وأبكاني معه، وذهب الشيخ فعلاً ووزع الصدقات التي جمعها وتوفي في تلك الرحلة بالبقيع. أما الأبيات التي كان يهتز بها طرباً حتى دخولنا عليه:

عن سواهم أشغلوني
يا خليلي نقشوني

تيموني هييموني
إن جيران العقيق

شيخنا مع الشيخ عبد الله سراج الدين - رحمهما الله - :

يذكر الشيخ العلامة نور الدين عتر أن شيخنا الشيخ فوزي كانت له صداقة مع الشيخ عبد الله سراج أيام الطلب في الحسروية يقول الشيخ فوزي: (فكنت لا ترانا إلا ذاهبين إلى المدرسة الحسروية أو عائدين منها إلى

بيوتنا - إذ كانت متقاربة - أو جالسين في ركن من حديقة المدرسة نقرأ في كتاب أو نحفظ قصيدة، أو نراجع متناً من المتون، أو نندرس كتاب الله ..)

فكيف يكون حال من رُبي في هذه الوظائف والأحوال الشريفة مع أختيار وأبرار؟!؟

ثناء الدكتور محمد حسن هيتو:

سألت أستاذنا الدكتور محمد حسن هيتو حفظه الله عن شيخنا الشيخ فوزي - رحمه الله - فقال: رجل عالم مثبث في العربية والفقه، خالطته في الموسوعة عشر سنين.

وقد سمعت الأخ الكبير الأستاذ محمد توفيق البوطي حفظه الله بعد كلمتي الماضية في جامع التوبة عن شيخنا الراحل قوله: أكثر اثنين تعلمت منهما الدقة وتفصيل الكلام وشرحه بعناية بالغة هما: الدكتور محمد فوزي فيض الله، والدكتور محمد حسن هيتو.

وأضاف في حق الشيخ فوزي بقصة وذكرى في ثناء عاطر أنهم كانوا مرة في الكلية وكان اعتداء من اليهود بالمرور و(خرق جدار الصوت) فَحَدَّثَ مثل القصف الفظيع، فهب الطلاب وذعروا واضطرب كل شيء والشيخ فوزي ثابت رابط الجأش وكأن شيئاً لم يكن!! فانظر وتدبر في شأن هذا المدرس الكبير - رحمه الله -.

- أفعال وتكريم لشيخنا محمد فوزي رحمه الله:

في السَّيِّ الأخير أقيمت أفعال أشيد فيها بشأن مترجمنا وجهوده العلمية والفقهية وكان أهمها ما كان عند افتتاح كلية الشريعة في مدينة (حلب) في الشهر الثاني سنة ٢٠٠٧م وكانت الشخصية (الأكاديمية) الأولى المكرمة لأساتذة الشريعة هي شخص شيخنا رحمه الله .

وكان تكريم أيضاً سنة ٢٠٠٩م في الكويت؛ وكانت الشخصية الإسلامية الأولى أيضاً هي شخص شيخنا؛ وفي الحفلين ناب ولده الأستاذ البراء في أخذ وتناول التكريم.

- شيخنا وولده الكريم أحمد تميم _ وفقه الله وسلّمه:

بعد الوفاة كلمني ولده تميم فقال: كم كان يحبك والدي؛ ماذا أقول لك أنت أكثر من عَظَم الرقبة! فزاد اغتباطي بما لي في قلب الشيخ من ذِكْرٍ وحرمة. وقال: كان أبي كثير الصلاة والذكر ومرة سألته: أبي كم ركعة تصلي في اليوم؟ قال: ثلاثة وسبعون ركعة!!

وأبي آخر الأيام كان يكثر من قراءة: (إن للمتقين مفازاً) يكررها كثيراً في الصلاة.

- الشيخ يدعو حتى لمن عاداه:

قال لي البراء: حطّ عليه أستاذ مدّة وحرار فيما يصنع لإسقاط الشيخ والإزراء عليه واتصل بعددٍ حتى في الجهة التي نال منها الشيخ بعض شهاداته فماذا كان الجواب من شيخنا؟!
ماكان منه إلا أن قابل ذلك بالدعاء له! وقال لما قيل له وقد تملكهم العجب حتى فلان الذي خلع جلباب الحياء تدعو له قال: أدعو له! وله ولد معاق؛ لا بد أن أدعو له!

- ما قاله الشيخ في بعض الأفاضل:

- قال في الشيخ أبي الحسن الندوي: أديب وعالم ومفسر موسوعي غلب عليه الأدب والكتابة مع الورع والتقوى والالتزام والدعوة إلى ربه بحاله وسلوكه لا بمقاله رحمه الله.
- وقال في الشيخ محمد الحامد رحمه الله: إمام والسباعي يكتب له يسترقيه ويقول أعتقد بولايته.
وقال لي البراء ولد الشيخ: كان أبي يقول عن الشيخ محمد هشام البرهاني: عالم رباني.

- أين حَفِظَ الشيخ قرآنه؟!

تبقى في حسّ الانسان ومشاعره أناس لا ينساهم فمن لا ينساهم شيخنا رحمه الله: الشيخ عبد الوهاب الجذبة في الحسروية ابن أخ الشيخ محمد زين العابدين جذبة؛ وهو إمام مسجد الشيخ خواجه سعد الله - وكانت تقام فيه الصلوات الجهرية وحسب - قال الشيخ:
وهو الذي مكنتني من حفظ القرآن في هذا المسجد؛ حيث أعطاني المفتاح فحفظت فيه؛ فكان له علي فضل عظيم في إتاحة الفرصة لي؛ وكان للشيخ الأثر الصالح في حيّه.

- هات طالباً ترضاه وله زوجة وأرض زراعية ؟

كنا فيما أذكر سنة ١٩٧٧ أو ١٩٧٨ إثر صلاة في مسجد ظبيان المسجد الذي كان يصلي فيه شيخنا رحمه الله بجواره بيته في حي المهاجرين بدمشق؛ وكنا نتردد عليه فترة فقال لنا مرة: جاءني بالأمس رجل طيب وعرض علي قائلاً: زكّ لي طالب علم صالحاً ترضاه وأنا أعطيه ابنتي؛ وفوقها أرضاً زراعية هدية!!
وفي هذا المسجد يصلي العلامة الشيخ نور الدين عتر؛ والدكتور أحمد الحجّي الكردي.
انظروا هذه الأمة لا ينتهي فيها الخير؛ وفيها التعظيم للعلم والصلاح!

- من خلال الشيخ مما لم يُذكر:

أشاد الشيخ المحدث نور الدين عتر فيما أشاد من خلال الشيخ فوزي رحمه الله: عنايته بالعربية وتأنقه بالفصحى.

أقول: وكان ولده بعد الوفاة وعلى هول الأمر ومصابه يكلمني بالفصحى في غالب الحديث. ومما ذكره الشيخ نور الدين عتر من الشمائل: أن الشيخ فوزي رحمه الله كان في مهنة أهله على الهدي النبوي.

وذكر أيضاً من أمارات عنايته بالوقت وضع ورقة على باب حجرته وهو طالب في الأزهر كتب عليها: يستقبل زواره يوم الجمعة صباحاً من الساعة التاسعة إلى الحادية عشرة؛ ويعتذر سوى ذلك فالواجبات أكثر من الأوقات.

ونوه بكثرة ذكره فقال: وقد كنا نشعر بقدومه أو ذهابه من لهجة لسانه بالذكر مع كل درجة. (أي درجات البناء والشيخ فوزي في طابق أعلى).

- من علوم ومعارف الشيخ فوزي:

مما كتب الشيخ رحمه الله في علم الصرف؛ ومنها مذكرة لمنهاج السنة الثانية في كلية الشريعة ١٩٦٥ _ ١٩٦٦ وعنوانها: الأفعال والأسماء المشتقة من علم التصريف) وتقع في (٣٤) صفحة وهي في غاية النفع في بابها.

وكتب في العقيدة: (بحث في عقيدة أبي العلاء المعري) قريباً من مئة صفحة. وكتب في الأدب: بحثاً تمهيدياً للماجستير بعنوان (الطبيعية في شعر الصنوبري) كلفه به أستاذه شوقي ضيف؛ ويقع البحث في (٩٠) صحيفة.

ونشر في مجلة اللغة العربية التي تصدرها كلية الحقوق العربية في جامعة الإمام في الرياض بحثاً بعنوان: (الأنباري من خلال كتابه الإنصاف). ولم أقف عليه.

وفي الفقه الشافعي كان للشيخ رحمه الله _ درسان في بيروت في جامع عبد الناصر من (حاشية قليوبي وعميرة على شرح الجلال المحلي على المنهاج).

وقد دَرَسَ (مغتي المحتاج في شرح المنهاج) على الشيخ محمد سعيد الإدليبي في (حلب).

الشيخ فوزي مع الشيخ عبد الكريم الرفاعي والشيخ محمد عوض:

أخبرني صديقنا الأستاذ أبو أنس حسان الجبان _ حفظه الله في الكويت: قال في أول لقاء رأيتُ فيه الشيخ فوزي رحمه الله سنة ١٩٨٢ وماكنت أعرفه وما إن سمع أنني رأيت الشيخ عبد الكريم الرفاعي وكنت من طلابه حتى سحب يدي وقبّلها وأخرجت أيما إخراج؛ وحاولت أن أقبل يده فلم يسمح لي وقال لي: أنا أتبارك بالنظر لمن رآه؛ ويشرفني أن أقبل يده؛ وأدعو في كل صلاة قيام: اللهم احشني في زمرة طلابه وطلاب الشيخ محمد عوض من بعده.

زار الشيخ محمد عوض مرة الكويت فأخذته لشيخنا الشيخ فوزي _ والكلام للأخ أبي أنس _ فانكبّ الشيخ فوزي الأستاذ على تلميذه الشيخ محمد عوض يقبلها؛ وعرضَ عليه أن يقيم عنده!
وقد مرضت أُمِّي مرة فطلبت منه الدعاء لها فقال لي: اقرأ كتاب (الشفاء للقاضي عياض) بنية الشفاء؛ وكان ذلك ومن فضل الله كان شفاء الوالدة سريعاً!

أشهر من تردّد على الشيخ فوزي في الكويت وحضر عليه:
في عام ١٩٨١م افتتح الشيخ رحمه الله حلقة في بيته في منطقة (السالمية) أُملي فيها مذكرات في الأصول كُتبت عام (١٩٦٧ - ١٩٦٨)
وكان قد شجعه على هذه الحلقة إخوة أفضل من أهل بلده وهم: زهير حموي، فايز فايز عثمان، موسى الأسود ثم تبعهم المهندس محمد نور سويد.

ثم اشتهر درس الشيخ في (الشويخ) في كلية الآداب بجوار منزله إلى أن انتهى تعاقد الشيخ مع الجامعة،^١ فانتقل إلى مسجد المغيرة بن شعبة في (الرقعي)
وأهم من انتفع به وتردد عليه في هذين المسجلين وجلهم من الشيوخ أو المدرسين الكرام: أحمد الحداد، أحمد خليل جمعة، بسام هندي، بشار عكاوي، جاسم المطوع، حسان الجبان، حسن الحداد، خالد النيباري،

^١ وقد عيّن الشيخ في الجامعة في ١٣ أيلول ١٩٨٠ إلى كانون الأول ٢٠٠٠م وبقي ينفذ في الكويت حتى استقال في الشهر الأخير سنة ٢٠٠٧م وقد ذكر لي شيخنا رحمه الله اثنين ناخبين ممن درّسهم في جامعة الكويت: الأستاذين: حمد الفيلكاوي، محمد العوضي الكاتب المعروف

ومن كُتِب لهم من أهل الوفاء السفر لتركيا ليشاركوا في الجنازة وشؤون العزاء: الأفاضل: أحمد العبيد، عبد الستار القطان، عصام الغريب، جنيد مخير.

وأخبرني الأخ جنيد قال: رجعت لتركيا وكنت قد سافرت إليها من الكويت قبل أسبوعين من وفاته ورأيت في المشفى لا يفتر عن الذكر والأجهزة مركبة عليه - رحمه الله - .

رجب علوش، سليمان الخولي، صالح الرفاعي، عبدالرزاق الأشرم، عبد السلام خضر، عبد المنعم الأستاذ، عبد الهادي مصلح، عدنان النهام، عصام العنزي، عصام القطان، علاء سلانكلي، علي الكندري، علي بكيرة، عيد داوود، فواز الدخني، محمد فهد الزعبي، محمد وفاء ادريسي، محمد ياسر قضماني، محمد هاني عزيزة - رحمه الله - نزار محيسن، هشام زيدان، وسام العثمان، وصفي الشهاب - حفظه الله الجميع وأدام النفع وليعذر من لم ير اسمه هنا فهم كثر. وكان قد شجعه على هذه الحلقة إخوة أفاضل من أهل بلده وهم: زهير حموي، فايز فايز عثمان، موسى الأسود ثم تبعهم المهندس محمد نور سويد.

أخيراً: ومن شجوني الأخيرة مع شيخنا - رحمه الله - فرحي بوصول مجموعة من كتي ورسائلي التي طبعت في دمشق إلى الشيخ قبيل وفاته في ١٧ شوال مع أخي الحب مصطفى قبوض حين قصده إلى (إسبارته) ففرح بها، وبشّره لما رآها بأني قد بورك لي في وقتي، فالحمد لله على فضله. وهذا عزأونا: دعاؤهم لنا وتبريكنهم علينا، وتوجّههم في برازحهم المنورة في صلاح شؤوننا ظاهراً وباطناً. وبعد:

قبل أن أدفع هذه الصفحات لموقع (نسيم الشام) كان اتصالاً مع أخي الأستاذ البراء هل لكم من كلمة تنفع تذكراها بعد وفاة السيد الوالد بأيام؟! فقال:

من الأشعار التي كان والدي يكررها ويحبها:

أبني بناء الخالدين وإنما
مقامك فيها لو عقلت قليل
قد كان في ظلّ الأراك كفايةً
لمن كان فيها يعتريه رحيل

ومن كلام المعري:

كم بودرت غادة كعابُ
وعمّرت أمّها العجوز
أحرزها الوالدان خوفاً
والقبر حرز لها حريز
يجوز أن تبطئ المنايا
والخُلْد في الدهر لا يجوز

وأضاف: وأصارحكم عرّضتُ على أبي - رحمه الله - بعد وفاة والدي أن يتزوج إن رغب فقال: أريد أن أتفرغ للباقيات الصالحات!!

وكان والدي يقول: لو وجدت رُبع زوجة لتزوجت! وكان لا يرى الزواج الثاني إلا لاضطرار!
وينصح أن لا يتزوج الإنسان - وبخاصة الطالب - بزوجة ثانية أو موظفة!
ويقول:

وواحدة كَفَّتَكَ فلا تجاوز
إلى أخرى فتجيء بمؤلمات
رحم الله الشيخ رحمة واسعة والحمد لله على كل حال.

فرغت من كتابة هذه النتف والأخبار في يوم الخميس

٢٢ من المحرم ١٤٣٩، ١٢ / ١٠ / ٢٠١٧

